﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾ [الأحقاف: 19]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعدَ بيانِ الحالِ يَحْسُنُ إجمالُ المآلِ

لمّا بيَّنتِ الآياتُ السّابقةُ أحوالَ المُحسنينَ الطّائعينَ والعاقِّينَ المُكذِّبينَ في الأعمالِ؛ ناسبَ أن يَذْكرَهم على سبيل الإجمالِ لبيان المآلِ، فجمعهم في هذه الآيةِ في العدلِ والإفضالِ، فبَيَّنَ أنَّ لكلٍّ فريقٍ من الفريقينِ منازلَ ومراتبَ متفاضِلينَ فيها حسبَ أعمالِهم، فيوفَّى كلُّ فريقٍ جزاءَ أعمالِه جزاءً وفاقًا[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿دَرَجَٰتٞ﴾: (درج) أصلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على مُضِيِّ الشَّيءِ، والمُضِيِّ في الشَّيءِ، مِن ذلك قَولُهُم: دَرَجَ الشَّيءُ؛ إذا مَضَى لِسَبِيلِهِ[2]، والمعنَى المحوَرِيُّ: ضَمٌّ أو احتواءٌ في مَضَمٍّ للنَّقلِ أو معهُ برفقٍ، أي: شيئًا بعدَ شيءٍ[3]، ومن المجاز: لفلانٍ درجةٌ رفيعةٌ، وامشِ في مدارجِ الحَقِّ[4]، والدَّرَجَةُ في الرِّفعةِ والمنزلةِ، وتُجمعُ على دَرجٍ ودَرجاتٍ، ودَرَجاتُ الجِنان: منازلُ أرفعُ من منازل[5]، وهِيَ الطَّبَقاتُ مِنَ المَراتِبِ، الَّتي يتفاضَلونَ فيها[6].

2) ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ﴾: (وفى) كَلمةٌ تدلُّ على إكمالٍ وإتمامٍ، ومِنهُ الوفاءُ، أي: إتمامُ العَهدِ وإكمالُ الشَّرطِ، ووَفَى: أوفَى، فَهوَ وفِيٌّ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 157.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (درج).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (درج).
(4) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (درج).
(5) الخليل بن أحمد، العين: (درج).
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 157.

وأوفَيتُكَ الشَّيءَ؛ إذا قَضَيتَهُ إيّاهُ وافِيًا، وتَوَفَّيتُ الشَّيءَ واستَوفَيتُهُ؛ إذا أخَذتَهُ كُلَّهُ حَتَّى لَم تَترُكْ مِنْهُ شَيئًا، ومِنهُ يُقالُ لِلمَيِّتِ: تَوَفّاهُ اللّه[1]، ووَفَى لنا فلانٌ، أي: تَمَّ لنا قولُه، ولم يَغْدُرْ، وكلُّ شَيءٍ بَلَغَ تَمامَ الكَمال فقد وفَى، وتَمَّ[2]، وتَوفِيَةُ الشَّيءِ: بذْلُه وافِيًا، واستِيفاؤُهُ: تناولُه وافِيًا[3]، والمعنَى المِحوَرِيُّ: نموٌّ أو زِيادةٌ يبلغُ بها الشَّيءُ - أو يتأكَّدُ - تمامُ قوامِه[4]، والمرادُ بـ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ نُجازِيهِم جزاءً تامًّا وافِيًا لا غَبْنَ فِيهِ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الدَّرجاتُ ميزانُ أعمالِ الإنسِ والجِنِّ يومَ القيامَةِ، فاللهُ لا يظلم النّاسَ شيئًا

بيَّنَتِ الآيةُ الكريمَةُ أنَّ لكلٍّ من الأبرارِ والفُجّارِ منَ الإنسِ والجِنِّ مراتبَ عندَ اللّهِ تعالى يوم القيامةِ، بحسبِ أعمالِهم من خيرٍ أو شَرٍّ في الدُّنيا، وهو تعالى يوفّيهم أجورَ أعمالِهم، المحسنُ مِنهُم بإحسانِه، والمُسيءُ مِنهُم بإساءَتِه، وهم لا يُظلمونَ شَيئًا، فلا يُعاقبُ المُسيءَ إلّا بعقوبةِ ذَنْبِه، ولا يَحملُ عليهِ ذَنبَ غَيرِه، ولا يَبْخسُ المحسنَ منهُم ثوابَ إحسانِه[6]، بل يُعطي سبحانهُ كُلًّا منهم على استحقاقِه، فيُنْصَبُ يومَ القيامةِ ميزانٌ، وتكون درجاتٌ، ولكلٍّ منهم درجةٌ تُناسِبُ أعمالَه في الدُّنيا[7].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ العطفِ وتعيينُ المعطوفِ عليه:

عطفُ الجملةِ على الكلامِ المفهومِ من مجموعِ جُمَلٍ سابقة

عطفتِ الواوُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ الآيةَ على ما قبلَها، فلمّا ذَكَر اللّهُ تعالى كلامَ المُحسنينَ الصّالِحينَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وفى).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (وفى).
(3) الرّاغب، مفردات القرآن: (وفى).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (وفى).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 41.
(6) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 26/ 25.
(7) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 13/ 196.

ودعاءَهم، وما وعَدَهُم بِهِ من الوعدِ الحقِّ، وبيَّنَ أحوالَ أهلِ العُقوقِ المُكذِّبينَ، وما حَقَّ عليهم من الوعيدِ الشَّديدِ؛ جاءتْ هذهِ الآيةُ معطوفةً على قَولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ﴾، وقَولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾، وإن شِئتَ؛ فقل: في الَّذينَ ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الأحقاف: 13] و﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ﴾[1]، وهذا من عطفِ الجملة على الجملِ، أي: الكلامُ المفهومُ من مجموع جُمَلٍ سابقة.

نوعُ اللّامِ ودلالَتُها في قوله: ﴿وَلِكُلّٖ﴾:

اختصاصُ كلِّ فريقٍ بما يُناسِبُ عملَهُ الَّذي عَمِلَهُ في الدُّنيا

اللّامُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾؛ للاختصاصِ والاستحقاقِ، وقد دَلَّتْ على أنَّ لكلِّ فريقٍ من أهلِ الخيرِ وأهلِ الشَّرِّ مكانَهُ الَّذي استحقَّهُ، ووجبَ عليه، كُلٌّ على حسبِ مَرتَبَتِه، ومنازلُهم في الدّارِ الآخرةِ على قَدْرِ أعمالِهم[2].

دلالةُ استعمالِ لفظِ العمومِ (كلّ):

شمولُ الوعدِ والوعيدِ للإنسِ والجِنِّ جميعًا

جاءَ لفظُ (كلّ) في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾؛ لبيانِ شمولِ الوعدِ والوعيدِ للإنسِ والجِنِّ جميعًا، فليسَ ثمَّةَ من مفرٍّ، بل كلُّ إنسانٍ أو جانٍّ سيُلاقي حتمًا جزاءَ ما عَمِلَهُ من عملٍ في الدُّنيا.

نوعُ التَّنوينِ في قوله: ﴿وَلِكُلّٖ﴾:

جعلَ اللهُ لكلِّ جِنّيٍّ وإنسيٍّ ما يستحقُّه يومَ الحسابِ

جاءَت كلَمَةُ (كلّ) مُنَوَّنَةً، والتَّنوينُ فيها هو تنوينُ عِوَضٍ عَمّا تُضافُ إليَهِ (كُلّ)، وهو مُقَدَّرٌ يُعْلَمُ مِنَ السِّياقِ، أي: ولِكُلِّ فريقٍ من الفَرِيقَيْنِ، المُؤْمِنِ البارِّ بوالِدَيْه، والكافِرِ الجامعِ بَينَ الكُفْرِ والعُقوقِ دَرَجاتٌ، أي: مَراتِبُ مِنَ التَّفاوُتِ في الخَبَرِ بالنِّسبَةِ لأهلِ جَزاءِ الخَيرِ، وهُمُ المُؤمِنونَ، ودَرَكاتٌ في الشَّرِّ لأهلِ الكُفرِ[3].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 179، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 40.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 781.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 41.

بلاغةُ التَّغليبِ في لفظِ ﴿دَرَجَٰتٌ﴾:

تشريفُ الدَّرَجاتِ العُلا بالتَّغليبِ، فهُم أهلُ الرِّعايَةِ الإلَهيَّةِ والعنايَةِ الرَّبّانيَّةِ

عبَّرَ النَّظمُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾ عن جزاءِ الفريقينِ بالدَّرَجاتِ، رغمَ أنَّ الأصلَ أنَّ الدَّرجاتِ لأهلِ الجَنَّةِ، والدَّرَكاتِ لأهلِ النّارِ، فقد جاء أنَّ للنّارِ دركاتٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النّساء: 145]، ولكنَّهُ عدَلَ عن ذلكَ لوجْهِ التَّغْليبِ؛ لاشتِمالِ (كلّ) على الفَريقَيْنِ، أي: لِكُلٍّ مَنازِلُ ومَراتِبُ، سَواءٌ كانَت دَرَجاتٍ أم دَرَكاتٍ، وإنَّما غَلَّبَ أصْحابَ الدَّرَجاتِ؛ لأنَّهُمُ الأحِقّاءُ بِهِ لا سِيَّما، وقَد ذُكِرَ جَزاؤُهم مِرارًا، وجَزاءُ المُقابِلِ مَرَّةً[1]، وإن كانَ أهلُ النّارِ - وهم أصحابُ الدَّركات - أكثرَ من أصحابِ الدَّرجات، لكنَّ النَّظم غلَّب الدَّرجات على الدَّركات؛ لشَرَفِ المؤمنين، وأتى بلفظ الدَّرَجاتِ؛ إيماءً إلى تغليب حال المؤمنين؛ لِتَطمئنَّ نفوسُ الطّائِعينَ، بأنَّهم لا بأسَ عليهم من عذابِ المُكذِّبينَ[2]، وقد عُلِم من الدَّرجات أنَّ أسافلها دركاتٌ، فغَلَّبَ درجاتٍ؛ لنُكْتَةِ الإشعار ببشارة المؤمنين، بعد نذارة المشركين[3]، ولعلَّها من قبيل كونها أعظمَ شأنًا وعَدَدًا، ولذلك غُلِّبَت.

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظِ ﴿دَرَجَٰتٌ﴾:

الدَّرجاتُ استعارَةٌ لمنازِلِ الآخرَةِ

آثَرَ النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ بلفظِ الدَّرَجاتِ؛ لأنَّ الدَّرجاتِ عمومًا هي المستوياتُ، صعودًا أو هبوطًا، إيجابًا أو سلبًا، واستُعيرَت هنا للمنازل، فهي لمنازِلِ الأعمالِ، بقرينة قولِه تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾، فشُبِّهت المنازلُ بدرجاتِ السُّلَّم على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة، أو أنَّها قد سُمِّيَتْ دَرَجاتٍ لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط، كتفاضلِ الدَّرَجِ[4]، فصَوَّرت منازلَ النّاسِ، وهم يقفون على درجات متواليةٍ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 179.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 23.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/ 84.
(4) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/ 79.

عاليةٍ، بعضُهم أرقى من بعض، أو درجاتٍ نازلةٍ، بعضُهم أدنى من بعض، كلٌّ بحسب عمله، والمنازلُ أعمُّ من الدَّرجاتِ؛ لأنَّ لفظَ الكلِّ يُفيدُ الشُّمول للقَبيلَين المُحْسِنينَ والمُكذِّبينَ، فاقتضى المقامُ أن تُفَسَّرَ الدَّرجاتُ بالمنازل لتَعُمَّ المطيع والعاصي؛ ليجتهدَ الطّائعونَ في مقامات الحسنات، ويَحْذرَ المُكذِّبونَ مِنَ التَّهاوِي في الدَّركاتِ.

نُكْتَةُ تقديمِ المُسندِ على المُسندِ إلَيهِ:

في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ قدَّمَ النَّظمُ الكريمُ المسندَ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ على المسندِ إليه ﴿دَرَجَٰتٌ﴾، وكانَ الأصلُ حسب مقتضى الظّاهرِ أن يكون الكلام: (درجاتٌ لكلٍّ ممّا عملوا)، ولكنَّ النَّظمَ الجليلَ قَدَّمَ المسندَ للاهتمام ببيانِ المصير الفَرْدِيِّ لكلِّ واحدٍ من الفريقين؛ إذ هو المقصودُ بالبيانِ في المقامِ الأوَّلِ؛ لتَحْدُثَ الخشيةُ والإنابةُ في نفسِ كلِّ سامعٍ لهذا القولِ، فيزدادَ خشيةً وخوفًا، وارتداعًا وانزجارًا.

العنايةُ بمصيرِ المُكلَّفين تنبيهٌ بـارعٌ وتحـذيرٌ رادعٌ

نوعُ الواوِ ودلالتُها في قوله: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾:

عَطَفَ النَّظمُ الجليلُ قولَ اللّهِ تعالى: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ على قولِهِ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾، مع أنَّها في المعنى علَّةٌ لها؛ لأنَّ درجاتِ الأعمالِ هي الأمرُ المساعِدُ والمُعينُ على تَوفيةِ كلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ، وكانَ يمكنُ أن يُقالَ: (ولكلٍّ درجاتٌ ممّا عَملوا لِيوَفِّيَهُم أعمالَهم) بدون الواو، وحينَئذٍ ستكونُ التَّوفيَةُ عِلَّةً للدَّرجاتِ فحسب، ولكنَّ الواوَ جعلتها تفيدُ فائدةً جليلةً أخرَى، وهي أنَّها من مقاصدِ الكلام، وليسَتْ مِمّا يُذكرُ تابعًا لغيرِه، ولو حُذِفَتِ الواوُ سيكونُ القصدُ من الجُملتينِ أنَّ لكلٍّ درجاتٍ، وما بَعدَه تابعٌ لَهُ، وأمّا مجيءُ الواوِ؛ فقد جعل للجملةِ الثّانيةِ الَّتي هي التَّوفيَةُ شأنًا آخَر يُضافُ إلى الشَّأنِ الأوَّلِ، وهو في منزلتِه، وإن تَضَمَّنَ معنَى العِلَّةِ، وهذا من خفيِّ النَّظمِ وجَليله[1].

توفيةُ الأعمالِ معنًى قائمٌ برأسه، دالٌّ على العدلِ الإلهيِّ المُطلقِ

(1) محمّد أبو موسى، آل حم: (الجاثية، الأحقاف)، دراسة في أسرار البيان، ص: 466.

نوعُ اللّامِ في قولِه: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾:

التَّوفيةُ تعليلٌ للجزاءِ على حسب الدَّرجاتِ

اللّامُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾ للتَّعليلِ، فقدَ أشارَ إلى أنَّ جَزاءَ تلكَ الدَّرَجاتِ كُلِّها بِقَدْرٍ يَعْلَمُهُ اللّه، وهذا المعنى عِلَّةٌ لِمَحْذوفٍ، وتَقْديرُهُ: قَدَّرْنا جَزاءَهم على مَقاديرِ دَرَجاتِهِم؛ لِنوَفِّيَهم جَزاءَ أعْمالِهِم، أي: نُجازِيهِم جزاءً تامًّا وافِيًا لا غَبْنَ فِيهِ[1].

بَلاغةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾:

استحضارُ توفِيةِ الأعمالِ حثٌّ للمحسنين وتخويفٌ للعاصين

آثرَ النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ بصيغةِ المضارَعَةِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾، دون أن يقولَ: (ولتَوْفِيَة)؛ للدَّلالَةِ على أنَّ الحسابَ التّامَّ، والعدلَ المطلقَ للمحسنينَ والمُكَذّبينَ كليهما، سيكون لهم شيئًا فشيئًا، حتَّى توفّى الأعمالُ كلُّها، وفي التَّعبيرِ بالمضارِعِ استحضارٌ لمَوقفِ الحسابِ، وهو ما من شأنِهِ أن يزيدَ المحسنينَ شوقًا، وأن يزيدَ المُكَذِّبينَ خوفًا.

غرضُ عدمِ إظهارِ الفاعلِ:

قابليَّةُ اللَّفظِ القرآنيِّ للقراءاتِ سَعةٌ في الدَّلالة مرادةٌ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾ جاءَ الفاعِلُ ضميرًا مستَتِرًا عائِدًا على اللّهِ سبحانه، وذلك للعِلْمِ به، فهو وحدَهُ - تباركتْ آلاؤُه - القادرُ على توفيةِ كلِّ فردٍ من الجِنِّ والإنسِ بعمله، إن خيرًا؛ فخيرٌ، وإن شَرًّا؛ فشَرٌّ، فكانَ عودُ الفعلِ عليهِ من المعلومِ من السِّياقِ بالضَّرورَةِ، فاختصرَ النَّظمُ، وأوجَزَ التَّصريحَ باسمِ الجلالةِ؛ وذلك ليكونَ فيها قراءتانِ، كما سيأتي.

توجيهُ القراءاتِ القُرآنِيَّةِ:

توفيةُ الدَّرجاتِ أمرٌ عظيمٌ خطيرٌ يقتضي أن يصدرَ من العظيمِ

وردَت في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾ قراءتانِ متواترتانِ، فَقَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ، والبَصرِيّانِ، وعاصِمٌ بالياءِ، وهشام بخلف عنه بالياء، وقَرَأَ الباقونَ بالنون[2]، وفي قراءةِ النّونِ إظهارٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 40.

(2) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/ 373.

لعَظَمَةِ القائمِ بالتَّوفية سبحانه؛ إشارةً إلى عظَمَةِ هذه الدَّرجاتِ الرَّفيعةِ للمحسنينَ الطّائعينَ، وخطورةِ دركاتِ العاقِّينَ المُكذِّبينَ، فلا يَقْدِرُ عليها إلّا اللّهُ القادرُ على كلِّ شيءٍ، وهي كذلك مناسبةٌ لِمَطْلَعِ السّورَةِ، ولِما يُشيرُ إليه من كَشْفِ حُجُبِ الكِبرياءِ في يَومِ الفَصلِ[1].

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ التَّوْفِيةِ:

آثَرَ النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ بمادَّةِ التَّوفِيَةِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ لما فيها من معنى إتمامِ العَهدِ وإكمالِ الشَّرطِ، وبلوغِ كلِّ شَيءٍ تمامَهُ[2]، فدلَّ التَّعبيرُ بها على تنزُّهِهِ ﷻ عن الظُّلمِ، فهو تعالى يُجازيهم جزاءً تامًّا وافيًا لا غَبْنَ فيه[3]، ومن شأنِ الإيقانِ بهذه الحقيقةِ أن يُطمئِنَ قلوبَ المحسنينَ، فيزدادوا إحسانًا، ويتفكَّرَ العاصونَ في مغبَّةِ فِعلِهم وسوءِ أعمالِهم.

التَّذكيرُ بتمامِ التَّوفيةِ حثٌّ على التَّفكُّرِ في العواقبِ والمآلاتِ

بلاغةُ المجازِ وتوجيهُه في قوله: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾:

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ عن جزاءِ العملِ بقولِهِ: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، فذكرَ الأعمالَ وحذفَ الجزاءَ على سبيلِ المجازِ بحذفِ المضافِ، أو أنَّه ذَكرَ الأعمالَ، وأرادَ الجزاء، باعتبارِها سببَ الجزاءِ، فأقامَ السَّبَبَ مقامَ المُسبَّبِ على سبيلِ المجازِ المُرسَلِ، الَّذي علاقتُه السَّببيَّة؛ لبيانِ خطورةِ دورِ الأعمالِ ومحوريَّتِها في الارتقاءِ في الدَّرجاتِ، أو السُّفولِ في الدَّركاتِ، وكذلك لأنَّ اللّهَ ﷻ يَعلمُ مَثاقيلَ الذَّرِّ وما دونَها وما فوقَها، ويجعَلُ الجَزاءَ على حَسَبِها في المقدارِ والشَّبَهِ والجنسِ والنَّوعِ والشَّخصِ، حَتّى يَكادَ يَظُنُّ العاملُ أنَّ الجَزاءَ هو العَمَلُ[4].

إقامةُ السَّببِ مقامَ المُسبَّبِ، أو حذفُ المسبَّبِ لتوجيهِ الأنظارِ لخطورةِ الأعمالِ

نُكْتَةُ جمعِ الأعمالِ دونَ التَّعبيرِ بالمَصْدَرِ:

جاءتْ كلمةُ ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ جمعًا في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ

اللّهُ تعالى هوَ المحيطُ بكلِّ الأعمالِ مهما تنوَّعَتْ وكثُرتْ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 157.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (وفى).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 41.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 158.

أَعْمَلَهُمْ﴾، وعدَلَ النَّظمُ عن التَّعبير بالمصدرِ، فلم يقل: (وليوفيهم عَمَلَهم)؛ لأمرينِ اثنينِ: **الأوَّل**: للإشارَةِ إلى عظَمَةِ قدرَةِ اللهِ تعالى، فمهما تعدَّدَتْ أعمالُهم، وتنوَّعتْ نشاطاتُهم من خيرٍ أو شَرٍّ؛ فهو سبحانه محيطٌ بها، فلا يُعجِزُهُ شيءٌ عن إحصائها ومجازاةِ كلِّ مخلوقٍ بما عملَ، **والثّاني**: لبيانِ تعدُّدِ الأعمالِ الَّتي توجِب رِفْعةَ الدَّرجات أو السُّفولِ في الدَّركاتِ؛ كي يحرص المُحسنونَ الطّائعونَ على كلِّ أبوابِ الخير، فيَطرقوها، ويحذروا من كلِّ أبوابِ الشَّرِّ، فيمتنعوا عنها.

دلالةُ إضافةِ الأعمالِ إلى الضَّميرِ:

إثباتُ الأعمالِ على أصحابِها دليلٌ على عدلِ اللهِ المُطلقِ

أضافَ النَّظمُ الجليلُ الأعمالَ إلى أصحابها في قولِه تعالى: ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾، والإضافةُ لبيانِ الاختصاصِ، أي: ليوفِّيَهم الأعمالَ الَّتي لهم، ففيها بيانُ إحصاءِ اللهِ تعالى؛ لما عمله الصّالحونَ المحسنونَ، فيُجازيهم به أضعافًا مضاعفةً، ولبيانِ استحقاقِ المُكذِّبينَ للعقوبةِ بما اقترفوه من الآثامِ الثّابتَةِ في حقِّهم، مصداقًا لقولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ [المجادلة: 6]، ففي الإضافة دلالةٌ على أنَّهُ تعالى لا يظلمُ النّاسَ مثقالَ ذَرَّةٍ.

نَوعُ الواوِ ودَلالَتُها في قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

الواوُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ حاليَّةٌ، والجملةُ حاليَّةٌ من الجملةِ قبلَها، وهي جُزءٌ من معناها، وفائدةُ الحاليَّة دفْعُ تصوُّرِ الظُّلم في شأنِ الفريقين، وإثباتُ العَدلِ المُطلقِ للعصاةِ، والفضل الرَّبّانيِّ للمحسنين.

بَلاغةُ استعمالِ مُفردَةِ (الظُّلمِ) دونَ (البَخْسِ):

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بمفردَةِ (الظُّلم) دون (البخس)؛ لأنَّ الظُّلمَ يُقالُ في عمومِ مجاوزةِ الحقِّ، ويقالُ فيما يكثرُ، وفيما يقلُّ

من التَّجاوزِ، ولهذا يُستعملُ في الذَّنبِ الكبيرِ، وفي الذَّنبِ الصَّغيرِ، وأمّا البَخْسُ؛ فيُرادُ به انتقاصُ الحقِّ على وجهِ الخصوصِ[1]، ولمّا كانت ضروبُ المخاوفِ الَّتي يخشاها الخَلْقُ في الحياةِ الدُّنيا كثيرةً متنوِّعةً، لا تقتصرُ على مجرَّدِ انتقاصِ الحقِّ وحدَهُ؛ كان التَّعبيرُ بالظُّلمِ أوقعَ وأدقَّ.

مفهومُ الظُّلمِ أوسعُ من مفهومِ البَخْسِ، فناسبَ نفيُه العدلَ الإلهيَّ

نُكْتَةُ بناءِ فِعلِ ﴿يُظْلَمُونَ﴾ للمَفْعولِ:

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بُنِي فعلُ ﴿يُظْلَمُونَ﴾ للمفعولِ؛ للإشعارِ بِسُرعةِ القضاءِ مع كاملِ عَدلِه؛ فاللّه سُبحانَه لَم يَظْلِمهُم، ولَم تَظلِمهُمُ الملائِكَةُ الموكَّلةُ بكتابةِ صحائِفِ أعمالِهِم.

الإشعارُ بِسُرعةِ قضاءِ اللهِ مع كامِلِ عَدلِه

بلاغةُ بديعِ الاحتراسِ:

جُمْلَةُ: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ احتراسٌ مَنظورٌ فِيهِ إلى تَوْفِيَةِ أحَدِ الفَرِيقَينِ، وهو الفَرِيقُ المُستَحِقُّ لِلعُقوبَةِ؛ لِئَلّا يُحْسَبَ أنَّ التَّوفِيَةَ بِالنِّسبَةِ إلَيهِم أن يَكونَ الجَزاءُ أشَدَّ مِمّا تَقتَضِيهِ أعمالُهم[2].

(1) الرّاغب، مفردات القرآن: (بخس) و(ظلم).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 41.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"